مقدمـــــــــــة

القضـــية الأساســـية التى تشغلنى فى معظم ، إن لم يكن فى كل، ما أكتب على وجه التقريب هى قضية " العدل " الذى أعتبر توافره إعلانا بتحقق إنسانية الإنسان ، وغيابه هو العكس من ذلك .

قل مثل هذا فى التعليم ، وفى السياسة ، وفى الاقتصاد ، وفى الثقافة ، وفى كل مجال من مجالات الحياة الإنسانية .

ولـــيس غريبا أن تجد المدار كله فى أول كتاب فى التاريخ التربوى والفكر السياسى يرسم مدينة فاضلة ، ألا وهو جمهورية أفلاطون ، إنما يقوم من أوله إلى آخره حول هذه القضية : كيف يمكن تحقيق العدل فى المجتمع ؟

وإن دل هـــذا على شئ فإنما يدل على أن العدل هو حلم الإنسان منذ آلاف السنين ، إلى أن تقوم الساعة .

ومن هنا كان تركيزى كثيرا على الوجه الآخر ، ألا وهو الظلم ، والقهر ، والاســـتبداد ، والـــتفاوت الاجتماعـــى ، والاستغلال ، إلى غير هذا وذاك من مفردات ، تتعدد وتتنوع ، لكنها جميعا تشير إلى أمر واحد هو افتقاد العدل .

وقراءة عناوين مجموعة الدراسات التى يضمها الكتاب الحالى يشير إلى أن كثيرا منها يدور حول هذه القضية .

لكـــن ، لمـــاذا اختيار هذا العنوان " عسكرة التعليم " ؟ وهل يعنى هذا أن " العسكرة " هى المرادف للقهر والاستبداد ؟

الحـــق أن مـــا نؤكده هو أن العسكرة كمنهج حياة لها مجالها وظروفها التى تجعل منها منهجا عظيما ، لكن أن يسرى هذا المنهج فى مجال الحياة العامة ، فهذا من شأنه أن يفتح الباب لظهور ظواهر قهر واستبداد .

ولـــو وضعنا أمامنا قائمة بالتجارب التاريخية ، فى كل العصور ، وفى كل المجـــتمعات لعهود سادها طغيان واستبداد ، فسوف نجد أن كثيرا من سمات "

العســـكرة " قـــد تبدت بوضوح ، ربما فى سلبياتها ، لا فى إيجابياتها ، لأننا لا نســـتطيع أن ننكـــر أبدا إيجابيات لهذا النهج أبرزها سرعة الإنجاز ، والحسم ، وســـيادة الـــنظام ، والحرص على امتلاك القوة ، والتخطيط الجيد ، والتحسب للمســـتقبل ، والقدرة على المباغتة والمفاجأة ٠٠٠إلى غير هذا وذاك من سمات وخصائص هى فى حد ذاتها رائعة ، لكن الطغاة والمستغلين لديهم من المهارات التى تمكنهم من أن تتحول " النار " التى من شأنها أن تنضج وتنير ، كى تحرق وتدمر الغير ٠٠٠أن تتحول الطاقة النووية من الأغراض السلمية إلى أن تكون طاقة نسف وإبادة ٠

والدراسة الأولى عن (العدل التربوى فى التعليم المصرى) كانت محاضرة أعددتها استجابة لدعوة من الجمعية المصرية التاريخية ، فى العام ٢٠٠٤ على وجه التقريب ٠

أمـــا الدراســـة الثانية (العطاء المصرى ٠٠عربيا) ، فقد أعدت كمحاضرة ألقيت فى دار الوثائق القومية ، دار الكتب أيضا عام ٢٠٠٤ تقريبا ٠

والدراســـة الثالثة عن (نشأة التعليم العربى الحديث) أعدت بناء على طلب مـــن المـــنظمة العـــربية للتربية والثقافة والعلوم عام ٢٠٠٣ ، ضمن مجموعة دراسات تؤرخ للوطن العربى فى العصر الحديث ٠

والدراســـة الـــرابعة (عســـكرة التعليم وبناء الإنسان قهرا) فقد أعدت عام ٢٠٠٦ ضمن ندوة عن (محمد على) بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة ٠

أما الدراسة الخامسة (عن العدل التربوى فى تعليم المرأة منذ ١٩٥٢) فقد أعدت فى العام ٢٠٠٦ بناء على طلب المجلس القومى للمرأة ، ضمن مجموعة دراسات تخص تطور أحوال المرأة منذ نصف قرن ٠

وأعـــدت الدراســـة السادسة (التعليم فى ثورة يوليو ١٩٥٢) لدار الوثائق القومية ضمن احتفالها بمرور خمسن عاما على الثورة عام ٢٠٠٢

أما الدراسة السابعة والأخيرة (دور التعليم فى التطور الحضارى العربى)، فأعـــدت كمحاضـــرة ألقـــيت فى مكتبة الأسد بدمشق ، ضمن فعاليات معرض الكتاب الدولى عام ٢٠٠٤ ، على وجه التقريب أيضا ، حيث لم تسعفنى الذاكرة بالـــتحديد الدقيق ، بناء على دعوة كريمة من الأخ العزيز الدكتور وزير الثقافة السورى محمود السيد ٠

ولا يســـعنى فـــى النهاية إلا أن أكرر اعتذارى الذى لابد من تسجيله ، لما يترتب على تجميع مجموعة دراسات أعدت لجهات عدة ، فى مناسبات مختلفة فى كتاب واحد ، خاصة أن هذه الدراسات كلها تقع فى قلب التأريخ للتعليم فى مصر بصفة خاصة ، والتعليم العربى بصفة عامة ، فى العصر الحديث ٠

وفقنا الله إلى أن تكون أعمالنا ، لبنات متواضعة فى صرح المعرفة التربوية ، التى تعزز من مكانة الإنسان على أرض هذا الوطن الغالى ، وهذه الأمة التى نحلـــم بأن تتغير أحوالها حتى تكون مستحقة بالفعل أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، لأنها فى وقتنا الراهن ليست كذلك !

مصر الجديدة فى ٢٠٠٧/٧/٨